



لا واسطة بين الصور وموضوعه

«بعيداً عن بغداد»... صور العراقي قتيبة الجنابي تشكل كتاباً بصرياً للمنفى

□ بودابست - نادر صالح

المصور الفوتوغرافي والسينمائي العراقي قتيبة الجنابي يأخذ بيدنا لنزور معه محطات المنفى في كتابه «بعيداً عن بغداد» (بالأسود والأبيض) الصادر بالإنكليزية عن دار أقواس في دلفت (هولندا).

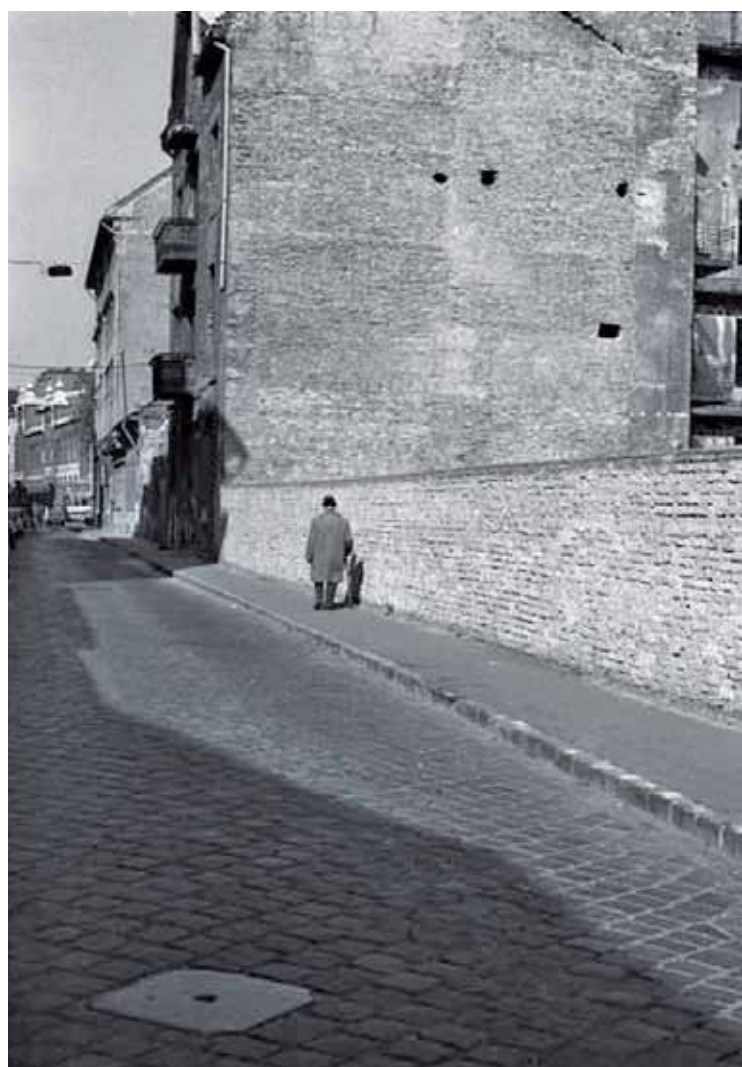
Koutaiba Al-Janabi: Far from Baghdad. Aqwaas Publishing House. Delft - The Netherlands, 2007

انها وثائق الكاميرا لعقدين ونصف عقد امضاهما قتيبة في هنغاريا حيث درس، وفي بريطانيا حيث يعيش ويعمل الآن. عقود المنفى التي ابتداء في ١٩٧٩ ولم ينته بعد.

«بعيداً عن بغداد» من المحاولات القليلة التي جرت وتجري لتوثيق مرحلة تاريخية معينة أو ظاهرة بذاتها توثيقاً فوتوغرافياً. وهذا النوع من الكتب نادر في عمل دور النشر العربية، فيما تنتشر أوروبا وأمريكا كتباً تضم فوتوغرافيات قديمة عن الشرق الأوسط تعود إلى القرن التاسع عشر أو أوائل القرن العشرين.

ليس من الصعب اكتشاف الصلة بين المنفى وصور السفر والحجاب والقطار والانتظار التي تتكرر في شكل لافت في الفصل الأول من «بعيداً عن بغداد» المخصص لصور هنغاريا ودول أخرى في «القارة» بحسب التعبير الإنكليزي، فهي توثقات على قيمة المنفى، لكن كله يبداً بلوحة طبيعية، تعودناها في لوحات الانطباعيين الفرنسيين لرجل يصطاد السمك في دراسة للظل والضوء.

الفصل الثاني، عن شخص المنفى، أي عن المنفيين: اصداق، اقارب، سياسيون، وفتانين، واقرباء، فاعنون أو شيوخ، وهناك المنفيون الراهلون الذين يودعهم المنفيون الأحياء في مقابر الغرباء، الصور كلها تتوالى بللمسة من الحزن والشعور بالوحدة، ليس بسبب تقنية الأسود والأبيض



القصيرة في عنوان «قصص العابرين» (بورتريهات شخصية لعراقيين مقيمين في أوروبا)، وفيلم «صديقي نصير» عن شاب عراقي تعرض لإعتداء عنصري في لندن، يلتقي في المستشفى بشاب انكليزي أبيض اعتدى عليه بعض السود، فالعصية إذاً لا تعرف لوناً، وهو اكتشاف باهر وبسيط اكتشفه الفن العراقي. أنجز أخيراً فيلمه «المراسل البغدادية» وهو يتحدث عن كاتلم جواد مراسل قناة العربية في بغداد الذي تعرض لمحاولة اختطاف نجا منها باعجوبة، لكن الخاطفين الحقوا به إصابات جعلته مقعداً. وعرض الفيلم في نادي Frontline Club في لندن، والمتخصص في شؤون الصحافيين على الجبهات والمراسلين الحربيين، وعرض كذلك في مهرجان روتردام للأفلام العربية (١٧-١٣ تموز (يوليو) الماضي، ويتابع الجنابي رحلة هذا الصحافي للعلاج وهو يتأرجح بين الحياة والموت من بغداد إلى عمان فالرياض، ثم إلى لندن، ويعرض الظروف التي يعمل فيها الصحافيون في العراق وتعرضهم للقتل والاختطاف، ويرينا لا مبالاة القوات الأميركية.

كما صور الجنابي عشرين حلقة عن ضحايا نظام صدام حسين بتكليف من مؤسسة الذاكرة العراقية، وخمسين حلقة عن شامير العالم بتكليف من قناة «أم بي سي» وصور كذلك لعبة النرد العاطفية، Emotional Backgammon فيلم روائي بريطاني من إخراج ليون هيربرت (عرض في مهرجان كان وحاز جائزة التصوير في مهرجان دنفر العالمي، وعرضه شبكة دور العرض البريطانية أوديون - ٢٠٠٣).

أفلام قتيبة الجنابي عرضتها محطات تلفزيونية معروفة مثل «أم بي سي» والقبلة البريطانية الرابعة، الجزيرة القطرية وقناة النونا المصرية، وساهم بأفلامه في مهرجانات عالمية كثيرة، واشترك في لجان تحكيمها، أما

شباك فقد إطراره، مال الجنابي فيها إلى التصوير الفني وهو لما يزل في سنوات دراسته وبداية اكتشافه الأكاديمي لهذا الفن.

الفصل الأخير هو فصل بغداد، عندما زارها الجنابي فناناً تاضحاً في ٢٠٠٣ بعد فراق ربع قرن. وصلها من المنفى، وغادرها إلى المنفى، فلا أخاله إلا مرتبكاً هناك! هل بدت غريبة عليه، أم هو الغريب فيها؟ كيف رأى الجنابي مدينته؟

عمود دخان أسود ينبعث من مكان ما قرب شارع الرشيد، صوره من جسر الجمهورية (أمام ساحة التحرير) وهو في سيارة مسرعة. هذه هي بغداد! الصورة المؤلمة اختارها الفنان لتكون صورة الغلاف. وفي الصور البغدادية اثنتان لفتين (ربما في الثانية عشرة) يعانسان من صعب أحذية المارة، وهناك الرجل الواقف في الشارع أمام ملصق عبدالكريم قاسم متمعناً فيه، الزعيم الذي أزال الحكام اللاعنون ذكراه من تاريخ العراق تماماً بعد انقلاب ٨ شباط (فبراير) ١٩٦٣، واقتنص الجنابي تلك اللحظة، اللحظة السحرية التي لا يراها سوى المصورين الذين يحسونها في لوحة، مثلما تخيل الكاتب دو لا روش (١٧٢٩-١٧٧٤) في روايته جيغانتى Giphantie لوحة تشبه المرأة مخطأة بطنه من مادة لينة، تحبس الصورة وتحفظها بعد تخفيفها في مكان مظلم.

قتيبة الجنابي فنان لا يكل، دائم التمسك ورأسه مليء بالمشايع المختلفة على الدوام، وهو مصور فوتوغرافي بعين، وسينمائي بالعين، والثانية، كما يحلو له القول، فقد صور وأخرج عدداً من الأفلام الوثائقية والروائية، منها تصويره أول فيلم روائي كرتي هو «جبان» من إخراج جانو روبيانسي (وحاز جوائز في مهرجانات)، وفيلم «الرجل الذي لا يكل» عن الفنان المسرحي العراقي خليل شوقي الذي لجأ إلى هولندا وهو في سبعيناته، وكذلك مجموعة من الأفلام



قتيبة الجنابي

أطفال، شيوخ، نساء، عائلات فلاحين في بيئتهم المعتادة، من بينها تستوقف المرء صورة كاكاه حبه لبساطها وعدم تكلفها، فالرجل لا يلبس المبرال الكروي التقليدي بل سروالاً اعتيادياً، «مدنياً»، ويجلس على علية صفيح في غرفة فارغة، يتمسك ببندقية صيد قديمة كانه لا ينوي تركها من يده، دلالة على علاقة الفلاح الكروي بسلاحه.

فصل مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان (عين الحلوة وبيرح والبراجنة وغيرها) نقلت صورة الجدران التي تعلن عن أسماء شهداء الثورة الفلسطينية من فصائل مختلفة، صور المخيمات يغلب عليها طابع التصوير الصحافي على رغم وجود صورة فتى يحمل سلاحه جالساً في

فحسب. بعض الشخصيات التي صورها الجنابي اصداق قدامى، صحافيون عمل معهم في بغداد - يوم كان مصوراً لصحيفة طريق الشعب اليومية حيث التقى للمرة الأولى - مثل الشاعر صادق الصائغ (في بورتريه يدع الظل والضوء) أو الروائي زهير الجزائري (في لقطة البقة مع زوجته المخرجة المسرحية روناك شوقي). ولا يخلو الفصل من بورتريهات لشخص معروفه عراقياً وعربياً، مثل الشعراء سعدي يوسف وبلند الحيدري وعبد الوهاب البياتي، أو الفنان التشكيلي ضياء العزاوي والفنانة المسرحية ناهدة الرياح وأخرين. إضافة إلى منفيين آخرين.

خصص الجنابي الفصل الثالث لصور كردستان العراقية (وقد صورها في الأعوام ١٩٩٣-١٩٩٤ و ٢٠٠٠)، وهو جزء لا يستطوع عين المشاهد المرور عليه من دون تأمل. فالشخصيات التي نراها في الفصل بسيطة وطبيعية:

من دون انفعال أو تضخم، وفي شكل هادئ يحترم الموضوع إلى أقصى حد، ويتعامل معه بتواضع، لذلك لا تعجب إن يطل علينا الموضوع من ورق التصوير بارتشاء ويعلاقة داخلية حميمة مع المصور، كان العدسة غير موجودة على الإطلاق، واسطة، بين المصور وموضوعه.

صوره الفوتوغرافية نشرت في الكثير من المجلات المتخصصة والصحف والمجلات العربية والإجنبية، وأقيمت معارضه في بلدان عدة.

وعلى فتايله مواضيعه - الفوتوغرافية والسينماتوغرافية على سواء - ينطلق من نظرة عميقة تراعي خصوصيات الموضوع/ الشخصية،

الحركة الثقافية - لبنان تطلق مهرجانها للكتاب

□ بيروت - «الحياة»



تتمهيداً لافتتاح المهرجان اللبناني للكتاب في دورته السابعة والعشرين، عقد أمس أمين الإعلام في الحركة الثقافية - انطلياس، منفضة المهرجان، مؤتمراً جورج اسطغان، مؤرخاً صحافياً للمناسبة، ومما جاء فيه: «العيش في هذا الوطن بات تضحية، والأمل تحدياً ومغامرة، وحركة الثقافة تغامر مرة أخرى، بامل لا تزيد الصعاب الا عزمًا، لأجل لبنان والثقافة والاسنان، وتنظم للسنة السابعة والعشرين المهرجان اللبناني للكتاب الذي حدد موعد هذا العام من عصر السبت في الأول من آذار (مارس) لغاية ١٦ منه، بدوام يومي يبداً في الحادية عشرة صباحاً وينتهي في التاسعة مساءً، في مقرها في دير مار الياس - انطلياس. نعم، كنا نامل ان توصل وحدة الوطن والمواطنين التي قطع يد الاجرام الاثمة، ووقف مسلسل الإرهاب المعلن في قتل الدولة وأبنائها وزعزعة الاستقرار، وكل المحاولات المستمتهمة، من اية جهة أتت، لإخضاع احرارنا، والقضاء على ما تبقى لنا من سيادة واستقلال فيعتبر من اعتبار. لكن المشكلة ثقافت، وتداخلت محاولات الإنقاذ من كل الجهات، خوفاً من انطلاق شرارة قد تمتد ناراً في شميم المنطقة الواقعة على فوهة بركان، وليس خوفاً على لبنان لوحده، فنتشابكت المصالح وتفرعت الانتماءات، ونحن في حاجة الى انتماء لبناني واحد في تنوعه لا خلاص الا فيه. الوطن على شفى الهاوية، أخطار من الداخل ومن الخارج ولا من يتنازل، واصحاب الحل والربط لا يبرف لهم جفن، والمشكلة تخبط حدود السياسة لتتحول قضية بقاء، يتمسك بها كل من أمن بلبلان وطناً هؤلاء...»

من يملك إنتاج هذه الصور؟ ولأي هدف؟ ولماذا يزدهر إعلام القنوات الدينية والغيبيات على الشاشات متزامناً مع صعود ثقافة «الصورة» وتداعي ثقافة الكلمات؟ ولماذا هجرت «الصورة» واقعا العربي الى واقع مغرب عنا؟ وإذا كانت الصور تصنع الاحلام، والأحلام تحكم السلوكيات، فأى مستقبل ينتظر العالم جملة، وعالمنا العربي وخاصة؟

استدعى ذلك كله دراسة تحليلية، موضوعية، ومعالجة نقدية، جعلت من هذا الكتاب لبنة أساسية في صرح الدراسات الإعلامية والنقدية.

«الذاكرة القومية في الرواية العربية»

صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت كتاب «الذاكرة القومية في الرواية العربية» من زمن النهضة الى زمن السقوط، لفصل دراج. يحفل الكتاب بجملة اسئلة مفاهيمية ونظرية ومنهجية جراء تعمق المؤلف بموضوع بحثه، وهو نراه يصوغ الكثير من آرائه في نص انتقادي حياً، واستقراري حياً آخر، ما يجعل قراءة النص حالة مميزة من المتعة والفائدة، فمن الاسئلة الرئيسية الجامعة بين التاريخ والرصد لاتجاهات العمل الروائي وفلسفته، قول المؤلف: اذا كان صعود الرواية ارتبط، نظرياً، بصعود القومية، فما هو وضع القومية العربية في شرط تاريخي يفرض عن هامشية الجنس الأدبي المنتمي إليها؟ وفي استيطان معرفي انتقادي يرى ان الرواية العربية، انطوت في الحالات كلها، على ذاكرة مكتوبة واسعة، وأخذ الخطاب الروائي الذي يوحد بين الواقعي والمخيل ينتج معرفة موضوعية ترفض واقع الاغتراب وتقرح مجتمعاً جديداً.

«الكتابة فوق الجدران»

صدر لعبد العزيز موافي ديوانه «الكتابة فوق الجدران»، في منشورات «الدار» في القاهرة. من أجواء الديوان: جدار يلتقط الموتى بأطراف أصابعه ليصل بين احتمالين، إنها راتحة الأرض قد هجرتها فنستحيل - من كونها وطناً - الى مجرد جرح غائر، كان، جسدها قد ارتحل بعيداً عنها باتجاه حلم يتأهب للعودة... يخط شهيد فوق ذلك الجدار: «كون الورك حلاً لا يعني أن تنشبت بالنوم، بل ربما بالموت رغم أنه نوم بلا احلام...»

والمؤسسات المختلفة تتبين - في رأي الكاتب - الحلول التي وضعتها الأمة لتعبير شؤونها ولجابهة أزماتها وحاجاتها، كما ان هذه النظم تكشف عن جوهر الأمة.

مجموعة شعرية لحمد جاهين بدوي

صدرت عن «مؤسسة شمس للنشر والإعلام» في القاهرة المجموعة الشعرية الثانية للشاعر محمد جاهين بدوي، في عنوان «الأ وذاك زئيب»، وهو عنوان القصيدة المحرور في المجموعة. المعجم القرآني والتجريبية الصوفية في تجلياتها الأدبية يهيمن على حقل المجموعة الدلالية، فينهل الشاعر من فيض روافدها التي لا تنتفد.

صدرت المجموعة في ١٤٠ صفحة من القطع المتوسط، وتضم أربع عشرة قصيدة تتراوح بين التفعيلي والخيالي العمودي، ومن أجوائها: يحيط المَن طمأنياً، وعلى صدى الروى برهانا، وما أعكف في هذه الأرواق بخالص من متعة الفن، وبهجة النفس، وإنما في أمشاج من تمر الشعر، وجمر الجوى، وسطر من ندوب القلب.

المجموعة في ١٤٠ صفحة من القطع المتوسط، وتضم أربع عشرة قصيدة تتراوح بين التفعيلي والخيالي العمودي، ومن أجوائها: يحيط المَن طمأنياً، وعلى صدى الروى برهانا، وما أعكف في هذه الأرواق بخالص من متعة الفن، وبهجة النفس، وإنما في أمشاج من تمر الشعر، وجمر الجوى، وسطر من ندوب القلب.

«الصورة والجسد: دراسات نقدية في الإعلام المعاصر»

صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت كتاب «الصورة والجسد: دراسات نقدية في الإعلام المعاصر» للدكتور محمد حسام الدين اسماعيل. ويهدف الكتاب بمسألة العلاقة بين الصورة والجسد كصورة، كما يرى المؤلف، ما هي الا تفاعل بين فكر وجسد ووسيط اعلامي، وبالتالي فهو يحلل وينقد هذه الصورة ويعالج طيفاً كونها. ويحفل الكتاب بأسئلة وإشكاليات من أبرزها: هل ثمة علاقة بين «صور» الأجساد النازفة المأ، على الفضائيات الإخبارية في فلسطين والعراق، و«صور» الأجساد شبه العارية على الفضائيات الترفيهية؟ ثم

العدد المعبر عن السنة الهجرية في ١٢٦ وقسمت على ١٢٥ ثم أضفت الى خرج القسمة الرقم ٦٢٦ فصلت على السنة الميلادية الموافقة.

رششت قليلاً من الرمل فوق الورقة وطويتها ثم درستتها في سروري، وهبطت الى غرفتي. ارتديت قميصاً من التيل الأزرق فوق السروال لفت عمامتي حول رأسي، اقتربت من الباب وتطلعت في حذر الى الخارج.

لبنان لن يشترك في معرض باريس للكتاب احتجاجاً على احتفاله بإسرائيل

قرر لبنان الامتناع هذا العام عن المشاركة في المعرض باريس السنوي للكتاب اعتراضاً على احتفاء باريس بإسرائيل لمتناسبة مرور ٦٠ سنة على قيامها.

وقال وزير الثقافة طارق متري أمس إن وزارته درجت على تنظيم المشاركة اللبنانية في معرض باريس السنوي للكتاب، غير أنها قررت الامتناع عن المشاركة هذا العام، اعتراضاً على قرار منظمي هذه المناسبة الثقافية الاحتفاء بإسرائيل ضيف شرف لمناسبة الذكرى الستين لقيامها.

وكانت دول عربية عدة أعلنت أيضاً امتناعها هذا العام عن المشاركة في المعرض الباريسي للكتاب احتجاجاً على الاحتفاء بالدولة العبرية.

«النظم الإسلامية» من مؤلفات عبدالعزيز الدوري

صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت كتاب «النظم الإسلامية» للدكتور عبدالعزيز الدوري، وهو المجلد السادس من سلسلة الأعمال الكاملة للمؤرخ العراقي التي يصدرها المركز.

وكان المجلد الأول ظهر في حزيران (يونيو) ٢٠٠٥ في عنوان «مقدمة في تاريخ صدر الإسلام»، والثاني في ايلول (سبتمبر) ٢٠٠٥ في عنوان «نشأة علم التاريخ عند العرب»، والثالث في تموز (يوليو) ٢٠٠٦ في عنوان «العصر العباسي الأول - دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي»، والرابع في كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٧ في عنوان «دراسات في الصور العباسية المتأخرة»، والخامس في ايار (مايو) ٢٠٠٧ في عنوان «مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي».

في كتاب «النظم الإسلامية»، يبحث المؤلف النظم السياسية والمالية، والإدارية، بدءاً بمرحلة الرسالة فالعصر الراشدي، ثم الأموي، وانهتها، بالصور العباسية. مظهر شخصية الأمة في النظم التي تسمى عليها، وكاشفاً حيوية الدولة الإسلامية ومقدرتها على البقاء والنمو بتطور انظمتها خلال تاريخها، ففي النظم

«العمامة والقبعة» رواية صنع الله ابراهيم

صدرت عن «دار المستقبل العربي» في القاهرة رواية جديدة لصنع الله ابراهيم في عنوان «العمامة والقبعة».

الرواية مبنية في شكل يوميات في القاهرة في اليربع الأخير من القرن الثامن عشر، من أجواء الرواية: «لمحت الجارية السوداء بجوار بر الماء تشطف كوزاً نحاسياً في طست ثم تملأ زير الماء، اشتراها استاذني من سوق العبيد منذ شهر، دفع فيها ثمانين قرشاً سبائياً، كان شعرها مرفوعاً الى أعلى كعادة الإمام، وفوقه طرحة من التيل، التقت نظراتنا فلم يبد على وجهها تعبير ما.

صعدت الى مجلس العقد، تركت خفي عند المدخل وتقدمت من خزانة الكتب، استخرجت كتاباً في الطب كتبت نسخة لأحد الطباطرني لاستعين بأجره على مصاريفي، لم أجد عندي مبلغ في العمل فاعتدت مكانه وقلت بين الكتب، نسخة من القرآن الكريم قدر ثمنها بئمة وعشرين بارة، كتب الأورد الصوفية، خطط المغربي، وميزان الشعراني و«حسن المحاضرة» للسيوطي بخطه، دلائل الخيرات، نسختان، واحدة رخصية اشتراها الشيخ بعشر بارات، وأخرى فاخرة بخط شريف اشتراها بعدة مئات، كتب جالينوس وسقراط وافلاطون، مجموعة من الكتب الصغيرة الصخرية من الكتب الصخرية بخصمين برة، مخطوط «القول الصريح في علم التشريح» للإمام الدمغوري، مؤلفات أبيه الشيخ حسن، نسخة فرسدة من القاموس العربي للجوهري، بقدر بين كتب المكتبة بأنه ليس منسوخاً وإنما طبع على المطبعة الحجرية في تركيا.

«النظم الإسلامية» من مؤلفات عبدالعزيز الدوري

صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت كتاب «النظم الإسلامية» للدكتور عبدالعزيز الدوري، وهو المجلد السادس من سلسلة الأعمال الكاملة للمؤرخ العراقي التي يصدرها المركز.

وكان المجلد الأول ظهر في حزيران (يونيو) ٢٠٠٥ في عنوان «مقدمة في تاريخ صدر الإسلام»، والثاني في ايلول (سبتمبر) ٢٠٠٥ في عنوان «نشأة علم التاريخ عند العرب»، والثالث في تموز (يوليو) ٢٠٠٦ في عنوان «العصر العباسي الأول - دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي»، والرابع في كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٧ في عنوان «دراسات في الصور العباسية المتأخرة»، والخامس في ايار (مايو) ٢٠٠٧ في عنوان «مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي».

في كتاب «النظم الإسلامية»، يبحث المؤلف النظم السياسية والمالية، والإدارية، بدءاً بمرحلة الرسالة فالعصر الراشدي، ثم الأموي، وانهتها، بالصور العباسية. مظهر شخصية الأمة في النظم التي تسمى عليها، وكاشفاً حيوية الدولة الإسلامية ومقدرتها على البقاء والنمو بتطور انظمتها خلال تاريخها، ففي النظم

تفتحت عن كتاب للحكايات والطرائف أو النوادر والأمثال، لم أجد «أنيس الجليس» أو «هن القوف» للشربيني، أو نوادر جحا، ولا كيلة ودمنة، ولا حويليات الإسحاقى المليئة بالطرائف والحكايات الإباحية، لا بد أنه أخذها معه.

استخرجت مجموعة من الكراسات كان يسجل فيها تواريخ الأعلام بطلب من الشيخ مرتضى الزبيدي قبل وفاته.

تصفحت الكراسات التي مهل مستمتعاً بخطه الرقعة الجميل ثم أعدتها مكانها، بحثت حتى وجدت ورقة فارغة، قربت مني القلم البوص ودواة الحبر النحاسية المستطيلة، وترعت فوق الرقعة في المكان الذي يحمله استاذني عادة أسندت الورقة الى فخذي، سجلت ما وقع لي منذ عركة بولاق وهزيمة ابراهيم بك، توقفت حائراً قبل تسجيل واقعتي مع الجارية السوداء، يركز الشيخ على الأحداث العامة ويتجنب الحديث عن الأمور الشخصية. قررت الا أقلده ورويت واقعتي مع الجارية. دونت التاريخ الهجري، ثم غيرته بالتاريخ الميلادي بالطريقة التي تعلمتها من التاجر الفرنسي. ضربت